العرب والعربية

﴿ بهما صلاح الامة الاسلامية ﴾

رسالة لصديقنا السيد عبد الحق الاعظمي البغدادي مساعد استاذ اللغة العربية في مدرسة العلوم الكلية الاسلامية الشهيرة في عليكره (بالهند) والخطيب المفوّه المشهور بين في أولها ضعف المسلمين وسوء حالهم وكون اليأس منهم أقرب الى الرجاء فيهم لولا ان اليأس ينافي الايمان بقدرة الله تعالى وعنايته ـ ثم بين انه تصدى لاصلاح حالهم كثيرون من طريق الدين ومن طريق العلم والمدنية وتقليد الامم القوية ، وشرح مذاهب دعاة الاصلاح المشهورة ، وذكر ان بعض الافرنج ساعد بعضهم على بعضها كمساعدة الانكليز لمسلمي الهند في هذا العصر على التعليم ، وبالغ في مدحهم على ذلك ، ثم قال ان كل تلك المذاهب والطرق الاصلاحية لم تغن عن المسلمين شيئا فلا يزالون على سوء حالهم ، والاخطار محدقة بهم . وانتقل من شرح ما تقدم بالاطناب التام بأسلوبه الخطابي الفصيح الى بيان رأيه في حل هذا المشكل ، وازالة هذا المضل ، فقال ان لديه علاجا لاصلاح حال المسلمين ، واصلاح حال البشر بهم اجمعين ، وهو وصفة مؤلفة من جزئين يعرضهما على عقلاء المسلمين وأهل الغيرة منهم لعلهم يعالجون بتأليفهما والجمع بينهما هذه الامة التي تصلح بصلاحها كل الامم . أما الجزء الاول فهو تعميم اللغة العربية في العالم الاسلامي كله وجعلها لغة التكلم والتعلم والتعامل دون سواها . وههنا بين ان صلاح المسلمين يتوقف على هداية القرآن والسنة ، وهدايتهما تتوقف على احياء تأثيرهما في نفوس الناس وذلك يتوقف على احياء لغتهما واتقانها . واطنب في وصف مزايا اللغة العربية واسرارها وشدة تأثيرها وتأثير القرآن الحكيم وما يشهد لذلك من نشأة الاسلام الاولى في العرب . وأما الجزء الثاني من هذه الوصفة فننقله لقراء المنار بنصه وهو قوله :

﴿ الجزء الثاني من هذه الوصفة ﴾

اما الجزء الثاني من هذه الوصفة فهو الشعب العربي ، فالواجب يقضي على كل ساع في اعادة مجد الاسلام بايقاظ الامة العربية من نومتها ، وتنبيهها من غفلتها ، وانهاضها من كبوتها ، وانتشالها من سقطتها ، ومساعدتها

على الاستعداد للخطر المحدق بها، والمهدد لكافة الامة الاسلامية على بكرة ابيها، فقد فرغت وربا او كادت تفرغ من القضاء على استقلال العنصرين العظيمين من العناصر الاسلامية اللذين كانا موضع رجاء بقية العناصر في جميع بقاع الارض، ومطمح انظارهم في اعادة مجد الاسلام وحفظ سلطته وحماية اهله، ووقاية مهد الدين، وكعبة المسلمين، من تغلب الاجانب، وتوارد النوائب، وتزاحم المصائب — وهما عنصر الترك والفرس — على انهما حماهما الله من كيد الاعداء، بتوفيقهما لهدي القرآن، قد استبدلا الرابطة الجنسية اللغوية، بالجنسية الاسلامية القرآنية، فلا ترجى مع تعلقهما بهذه العصبية الجاهلية، حياة الاسلام بالقرآن والسنة السنية، الا ان يثوبا الى رشدهما بالعرب والعربية،

اما العنصر الافغاني (ومن على شاكلته من الامارات الصغيرة المبعثرة هنا وهناك) فهو وان كان مستقلا في بلاده، مختارا في اموره واعماله، لم تأبه له اوربا ولم تعبأ به، وهو في الحقيقة «لا في العير ولا في النفير» ولا امل لاحد فيه بان يرد للامة مقدار فتيل مما سلب منها او نقير، فلم يبق امام جمعيات اوربا من العقبات الشديدة لبلوغ امنيتها من محو الاسلام تماما واذلال ابنائه قاطبة ووضع اغلال الاستعباد في اعناقهم، وانتزاع سائر ممتلكاتهم من ايديهم، الا عنصر واحد هو اكبر العناصر الاسلامية وافضلها، واغيرها على الدين واجدرها بالقيام بامر المسلمين، الا وهو (العنصر العربي) الذي اعز الله به الاسلام، ورفع مقامه فوق كل مقام، وبه شيد صرح الايمان، واعلى كلمة الرحمن، واخرج الناس من الظلمات الى النور، وهداهم الى الطرق المثلى في جميع الامور، وجعل تعالت قدرته بلاد هذا العنصر الابي، مشرق هذا

النور الالهي، ومنبع حكمته، ومثار هدايته، ومصدر تعليمه وتربيته، ومظهر جلاله وعظمته، واختارها جل ثناؤه مقر اليته الحرام مطاف العائذين، ومطهر المذنبين، وقبلة المسلمين في سائر الارضين

فاذا غلب الاجانب العرب على امرهم، وانشبوا براثنهم في احشاء بلادهم، فلا عاصم للامة بعد ذلك من امر الله ولا ملجأ ولا منجاة لها من نوائب الدهر وغوائله، ولتوطن نفسها على استقبال الموت الاحمر والبلاء الاسود، ثم الفناء والزوال، او الرسوف في اغلال الاستبعاد الى ابد الآباد، ومهما سلمت الامة العربية والبلاد العربية فان النفوس تظل مطمئنة راجية ان يعز الاسلام بها يوما من الايام .

الا وان الخطر الذي يلحق بالاسلام من استيلاء الاجانب (الذين فرغوا له الآن) على الامة العربية والبلاد العربية، اشد وامضى من كل خطر يصيبه من استيلائهم على غيرهما من العناصر والبلاد الاسلامية . لان العرب كما لا يخفى روح الاسلام وعزه، وبلادهم نقطة دائرته ومركزه، فالاستيلاء عليهما استيلاء على قلب الاسلام وضربة على ام دماغ الامة، فلا يرجى لها بعدها انتعاش او قيام، وقد قال عليه الصلاة والسلام ([1] اذا ذلت العرب ذل الاسلام) واذا ذل الاسلام فقل على الدنيا وما فيها السلام، فان الخسارة تنتج من ذله، والضر الذي يترتب على هوانه وزواله، يعم البشر قاطبة ويشمل الموجودات طرا، لانه الدين الذي رضيه الله لعباده وأكمل به الاديان، والشرع الذي ما بعده شرع ينتظر لاصلاح بني الانسان (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

(١) رواه ابو يعلى في مسنده عن جابر بن عبد الله — الجامع الصغير ج ١ ص ٢٥

فاذا رغب المسلمون في بقاء جامعتهم وحياة امتهم ، ورفع كلمتهم وحماية شريعتهم، وحفظ وجودهم وصيانة حقوقهم، وان يقام لهم وزن بين الامم، وتقوم لهم ومنهم دولة مهابة عزيزة بين الدول ، وان ارادوا ان يحافظوا على الوديعة التي اودعت لديهم ، والامانة التي بعد ان عرضت على السموات والارض فابين ان يحملنها فوضت اليهم، وهي وديعة التوحيد، وامانة الايمان بالعلي المجيد ، وان يتمموا مابدأوا به من اصلاح البشر اصلاحا يجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة ، وسعادتي الروح والجسم وطيب المعاش والمعاد — اذا ارادوا هذا ورغبوا في ذلك ، فالواجب على عامتهم وخاصتهم قريبهم وبعيدهم عربيهم وعجميهم، ان يقوموا باحياء البلاد العربية بكل وسائل الحياة، وتقوية الامة العربية بجميع انواع القوى، وان يبدوا اولا بكل مالديهم من حول وقوة كل منفذ من المنافذ التي يدخل منها الاجانب لافساد هذا الشعب الكريم والتلاعب به ، واستدراجه وايقاعه في حبائل مكرهم وخداعهم، وأشراك غشهم واحتيالهم —

وليعلم المسلمون حيث ما كانوا واينما وجدوا ، ان كل دولة تنشأ لهم في اي بقعة من بقاع الارض وفي اي زمن من الازمان ، اذا لم يكن العرب بناة اساسها، واركان بنائها وعمد صروحها، ومدبرو امورها ومديرو حركتها، واليد العاملة فيها والقوة التي ترتكن عليها، والروح التي تسري في مفاصلها، والاصل الذي تتفرع عنه اغصانها وتنمو عليه افنانها ، فهي دولة لاتدوم ولا تحسن حالها ولا تسعد رعاياها ، ولا يعتز بها الاسلام، ولا يبث هديه وارشاده بواسطتها بين الانام، ولا تقوم بما ندب اليه العرب رب العالمين، من جعلهم هداة مرشدين وائمة وارثين وزعماء مصلحين، وقادة

ناصحين وسادة عادلين —

وكما لا يعتز الاسلام بقيام دولة مثل هذه ولا يتمكن من اداء وظيفته على يديها ، فكذلك لا ينجبر سقوطها ولا يؤلمه هبوطها ولا يؤثر فيه أفعالها ولا يضره زوالها ، فقد اعتز العنصر الفارسي عصورا ثم سقط ، واعتز العنصر التركي دهورا ثم هبط ، ولكنهما اهملا دعوة الاسلام ايام عزهما بل عطلا كثيرا من احكامه وتركا اكثر تعاليمه ، فلم يكن سقوطهما مدعاة الى اليأس من الاسلام نفسه (وان كان صدمة شديدة وزلزالا عظيما على المسلمين في هذا العصر) لم يقل أحد انه سقطت به المدنية الاسلامية ، فضلا عن الدعوة المحمدية ، كفاجع سقوط العرب في الاندلس ، ذلك الفاجع الذي قوض صروح السعادة — سعادة المدنية الفاضلة مدنية الاسلام الكاملة — من اوربا ، وقضى على آمال العالم الانساني عامة والاسلامي خاصة من نشر الدين في هاتيك الربوع ، وبث هدايته بين تلك الجموع ، مما لو تم لعمت هذه السعادة كل الناس ، ولفاز بالحسنيين جميع الشعوب والاجناس ، ولساد الصلاح في البشر ، وزال الفساد من البر والبحر

نعم ان العنصر العربي جار عليه الظالمون وانهك قواه المعادون ، ومزق وحدته المارقون ، وفرق كلمته المنافقون ، وعادى بين امرائه البطلون ، وضرب بعضه ببعض المرضون ، وسعى في تبديده الساعون ، حتى ازهقوا روحه الادبية ، وحالوا بينه وبين كل قوة مادية او معنوية ، ومنعوا عنه العلوم والمعارف ، وسلبوا منه التالد والطارف ، وسدوا في وجهه المنافذ ، وضيقوا عليه المسالك ، وافسدوا حالته الاجتماعية واحاطوا به بكل شر ، وصدوا عنه كل خير (وأرادوا به كيداً فجعلناهم الاخسرين) — (كم تركوا من جنات

وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك واورثناها قوما آخرين، فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين)

لكنه مع كل ذلك لا يزال اصلح العناصر الاسلامية للقيام بامر الاسلام، واعادة مجده الى الأنام، وصيانة هيكله من الانهدام، بل ورفع مقامه فوق كل مقام، وبث دعوته وتجلية حقيقته، واصلاح الانام به واسعادهم بتعليمه، اذا كفر عن سيآتهم المسيئون، وتاب من خطيآتهم الخاطئون، وثاب الى رشدهم المفتونون، ورجع عن اغوائهم المغوون، وترك افسادهم المفسدون، واستبدلوا الوفاق بالنفاق، والاتحاد بالشقاق، والتعارف بالتناكر، والتآلف بالتنافر، والمحبة بالبغضاء، والاخلاص بالرياء، والصلح بالعداء، والاصلاح بالافساد، والتقرب بالابتعاد، والمساعدة بالاضطهاد، والتقوية بالاضعاف، والموازرة بالارجاف. ثم اطلقوا لهذا الشعب الكريم الحرية، وبثوا بين ابنائه الاذكياء المعارف والعلوم العصرية، وفتحوا لهم ابواب التجارة، ومكنوهم من اسباب الحضارة، وساعدوهم على اصلاح اراضيهم الواسعة المباركة، وعاونوهم على تفجير ينابيعها والانتفاع بمياه انهارها المتدفقة، وتنمية مزروعاتها، واستغلال خيراتها، واستخراج كنوزها، وتأمين السابلة، وتقريب طرقها الموصلة، وتنظيم السبل وتسهيل التنقل، وتشييد المعامل الصناعية عليها، وترغيب ابناء البلاد فيها، وتنشيط عمالها، وترويج مصنوعاتها، وتنظيف مدنها وتخطيط دروبها، وترقية مبانيها ورفعة شانها، وما اشبه ذلك من وسائل القوة واسباب الثروة.

فان فضائل الشعب العربي الكريم لا تزال كامنة فيه كمون النار في الزناد، واستعداده الفطري لا يزال راسخاً في طبيعته رسوخ الجبال على

المباد، وخصائصه ومميزاته واخلاقه وصفاته لا تنفك قائمة فيه ومتمكنة منه، لا ينزعها نازع، ولا يبدلها تبدل الاقاليم والمواضع، ولا تقلبها اعاصير المظالم والوعازع. الا وان العرب ليسوا بحديثي نعمة في المدنية والمجد كسائر الامم التي قامت وسقطت، وظهرت ثم اختفت، وارتفعت ثم هبطت، ووجدت ثم عدمت، واحيت ثم ماتت، فان العرب كما قال السيد الامام [1] « اعرق الامم في العلم والمدنية والفضائل تدل على ذلك لغتهم الراقية الواسعة، ويشهد لهم به التاريخ، فشريعة حمورابي اقدم الشرائع المعروفة كانت عربية، والشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع ومكملتها عربية، والمدنيتان الاشورية والمصرية اصلهما عربي، وكل ما بعدهما مقتبس منهما ومبني على اساسهما، كالمدنية اليونانية والرومانية »

فتهيئة العرب للوثوب، وانهاضهم لرد المسلوب، وتنبيههم لحفظ الموجود، وتنشيطهم على ارجاع المفقود، لا تحتاج الى عناء كبير وعمل خطير، ووقت وفير ومال كثير، فما هو الا ازالة الرماد عن تلك الجذوة المدفونة، وقدح الزناد لاشعال تلك النار الكامنة، والتوفيق بينهم وبين حكام الاستانة، ولا اقول وبينهم وبين اخوانهم الترك - فان حكومة الآستانة لم تغز جزيرة العرب مرة من المرار العديدة برأي ترك الاناضول ولا ترك تركستان.

فيا ارباب الافكار المنيرة من المسلمين تفكروا في حالكم! ويا اصحاب العقول الكبيرة من المؤمنين تدبروا في مآلكم! ويا ذوي القلوب البصيرة من الموحدين انظروا الى مصيركم في مسيركم! ويا اهل الغيرة من المحمديين هذا

(١) المنار ص ٣٣٧ من المجلد ١٥

وقت الغيرة على دينكم وامتكم! فاين شهامتكم وحميتكم؟ أين نجدتكم ومروءتكم؟ اين اخلاصكم في محبتكم؟ اين صدقكم في غيرتكم؟

قوموا بارك الله فيكم فشدوا ازر العرب اخوانكم، وساعدوهم على حماية دينكم، وحياط جامعتكم، وحفظ وحدتكم، ووقاية قبلتكم وكعبتكم، وصيانة قبر نبيكم، جودوا عليهم بالاموال، شاركوهم في الاعمال، تحملوا معهم بعض الاثقال، واعدوهم لميادين النزال، اسسوا لهم وفيهم المدارس العلمية، وشيدوا بينهم المعاهد الفنية، وبثوا فيهم المعارف العصرية، ومدوهم بوسائل الحياة والدعة، واسباب القوة والمنعة، ليقوموا بما فطروا عليه وعهد فيهم من الاعمال الكبيرة، والافعال المدهشة الخطيرة ـ

قوموا ايدكم الله ورعاكم فحققوا دعوة ابيكم ابراهيم الحنيف في ذريته المباركة التي اسكنها بواد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم، ليقيموا الصلاة ويحيوا الموات، وينفخوا روح الحياة الطيبة النافعة في العالم، فاهوا اليهم بافئدتكم، واصرفوا عليهم من ثمرات عقولكم ومعارفكم، وابذلوا لهم من اموالكم ما تمكنكم منه مقدرتكم، لتطمئن منهم النفس ويستريح البال، فيشكروا الله على العناية والافضال، وينتاشوكم من مساقط الذلة والهوان، ويهبوا بكم الى مراقي السعادة والامان (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)

قوموا حاطكم الله بستره الواقي، ومنعه الكافي، فآثروا باموالكم ومساعيكم اخوانكم العرب مؤسسي جامعتكم، وموجدي عزتكم، واصل سعادتكم، وايقظوهم من هذا النوم الذي امتد وطال لتبشكم من مقابر

الخمول يقظتهم، واحيوهم من هذا الموت الادبي الذي جلبه عليهم الانذال لتحيا بحياتهم امتكم من موتها العلمي والسياسي والحربي، وتعتزوا بعزهم، وتسلموا بسلامتهم، وتصان معاهد الدين بمزاحمهم وتأييد سلطة الشرع بهممهم، ويعود اليكم ماكان لديكم من المدنية الفاضلة، والحرية الشاملة والسيادة الكاملة، والسلطة العادلة، فتصلحون وتُصلحون، وتُسعدون وتُسعدون، وتنالون وتعطون —

فان القصور الشواهق، والارائك والنمارق، واتساع مساحة البلاد، وكثرة عدد الافراد، وشرف الآباء والاجداد، والالقاب الضخمة، والمركبات الفخمة، وامارة موهومة بايدي افراد ممددة، وثروة معلومة في قبضة جماعة محدودة، لا تعصم الامة من مصارع الاستعباد، وشقاء العبيد والاسياد وتماسه الابناء والاحفاد، واحتلال الاجنبي للبلاد، واستئثاره بخيراتها، وتفرده بنعمها وحاصلاتها، ولا تصد الاغيار عن اهانة الدين واذلال المؤمنين، وهتك الحرمات وقتل الارادات، والتحكم في الاموال والرقاب، والتصرف بالخيول والقصور والقباب

اذا لم يقبض على دفة سفينتكم ايها المسلمون في هذا البحر العجاج ـ بحر الحياة الواسع الارجاء ـ وسط تلك الامواج المتلاطمة ـ امواج تنازع البقاء ـ بين هاتيك العواصف المتناوحة ـ عواصف تغلب الاتوياء على الضعفاء ـ ملاح مدره خواض غمرات، وربان مقذف طلاع ثلمات، ولم يقم بالامر حكيم حنكته التجارب، وعلم بالبوادر والعواقب، ولم يتول الزعامة قائد بصير باقتحام المضايق، وخبير بالمفاتح والمغالق، صبور على المشكلات وجسور

لدى الغارات، مدرب على المصاولات والمجاولات، كالشعب العربي الذي يعترف العالم باستبداده وخبرته وقدرته، وتقر الامم بافدامه وصبره وقوته، ويشهد له الله وملائكته وجميع مخلوقاته على عدله في سلطته وفضله في حكومته ونبله في سيرته، وعلى عظيم اعماله وكريم افعاله وقويم خصاله، وكمال اهليته وتمام جدارته ولياقته ..

فقوموا اخاكم الله وسارعوا الى الانضمام الى هذا العنصر الكريم بطلوعكم ومدارسكم، وقنوصكم وقنائصكم، واموالكم واعمالكم، وارحلوا اليه من كل مكان، واصبروا الاتصال به الديار والاوطان، واختلطوا به اختلاط الملح بالطعام، وامتزجوا به امتزاج الارواح بالاجسام، واتحدوا به اتحادا تاما روحا وجسما حسا ومعنى قولا وفعلا سعيا وعملا، بحيث تكون اجسامكم كتلة واحدة، وقلوبكم مضغة واحدة، وعزائمكم عزيمة واحدة، وهممكم همة واحدة، وقواتكم قوة واحدة، وغاياتكم غاية واحدة، ونهاية اعمالكم الى نقطة واحدة، ومنتهى مساعيكم الى مصلحة واحدة، ليتحقق فيكم قوله تعالى (ان امتكم هذه امة واحدة) فيهب هذا العنصر القوي بكم هبته المعروفة، ويثب بكم كما وثب من قبل بآبائكم فيبيد هذه الشرور المتفاقمة ..

واعلموا يسركم الله ان العمل لايقاظ العرب من نومهم عين العمل لاحياء الوحدة الاسلامية التي ما وحدت في القرون الاولى الا بالعرب، وان البذل لمساعدة العرب على احياء مجدهم عين البذل لاعادة مجد الاسلام الذي ما تأسس بناؤه من قبل الا بايدي العرب ونفوس العرب وارواح العرب وقلوب العرب، وانهما لن يعودا مرة اخرى الا بالعرب منحدين

ومتفقين مع سائر الاجناس من المسلمين ، ولقد قال عليه الصلاة والسلام (١) ان الايمان «اي اهله» ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها) وقال جل جلاله (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين = ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون)

هذا ما اوحى به اللب ، وارشد اليه القلب ، وهدى له الايمان ، وتوفيق الرحمن ، وجالت فيه البصيرة وانسمت الفكرة ، واملاه الوجدان على اللسان ، فتحرك لتسطيره وعرضه بالقلم والبنان ، فان كنت اصبت المرمى فأسأل الله ان يوفق اخواني المفكرين للعمل به ويعينهم على تحضير هذه الوصفة ومناولتها لهذا المحتضر بكل تحفظ واحتياط وصبر وثبات ، وان كنت اخطأت الهدف ، وعدوت فصرت دون الغرض ، ولم اهتد الى سر هذا الامر فما انا باول سار غره القمر ، وارجو ان يجازيني الله على حسن نيتي ، ويتجاوز عن زلتي ويغفر لي خطيئتي ، انه هو الرؤف الرحيم

خاتمة

وخطاب لايقاظ هذه الامة النائمة

قال السيد الامام منشئ المنار (٢) ان للعرب في التاريخ القديم نومات طويلة ، تلوها هبات ووثبات قوية ، وكانت نومتهم قبل الاسلام اطول نوماتهم زمنا ، وهبتهم بعدها اشرفها واعلاها اثرا ، وقد عادوا الى النوم بعدها وتاريخهم يصيح بهم من ورائهم ، وتلاميذهم في الحضارة يهيبون

(١) رواه احمد في مسنده والبخاري ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة (الجامع الصغير ج ١ ص ٧٧)　(٢) المنار ص ٣٤٧ من المجلد ١٥

بهم من امامهم: النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات، ومن مات فات)

فيا ايتها الامة العربية، الجامعة لاشرف الخصائص البشرية، وافضل الخصال وانواع الكمال! يا ايتها الوسيلة الوحيدة، لجمع كلمة الشعوب الاسلامية العديدة! ياذات الاستعداد الفطري العجيب للنهضتين الدينية والمدنية!

لقد آن أوان هبتك لدفع جور الزمان، وحان وقت وثبتك لكف يد الحدثان، فقد بدا نجيش(؟) القوم، وبرح الخفاء فلا خفاء اليوم، وبلغ السيل الزبى، وبلغت الغلم سكين العدى، فهي بارك الله فيك من هذا النوم فان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات

ياايها العرب! ياأشد العناصر الاسلامية انفة وحمية، واقواهم جنسية وعصبية، واحرصهم على اباء الضيم، وابعدهم عن موجبات الذل واللوم، واصبرهم على المكاره والشدائد، وتذليل المصاعب في سبيل الوصول الى المقاصد، وانشطهم على التغرب والسياحات، واثبتهم في طلب اشرف الغايات، واعشقهم للاستقلال والحرية، واعرقهم في الفضائل النفسية، واعلمهم بقواعد الدين، واعرفهم بكتاب الله العربي المبين، واطوعهم لرسوله خاتم النبيين، واقدرهم على حماية دعوته، ورفع شأن امته، وصيانة دينه وشريعته، واجدرهم بتولي اصلاح شؤون المسلمين، في امري الدنيا والدين

لقد انتكم فالية الافاعي ايها العرب! وجاوز الحزام الطبيين والتقى البطان والقتب، فقوموا يا معقد الآمال وهبوا لتلافي مافات، وتدارك الامر قبل الفوات، وحفظ الامة من الشتات، وانفضوا عن اعينكم غبار هذا النوم فان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات، ومن مات فات

يا ايتها الامة العربية! ياذات الاخلاق الرضية والعقول الزكية! ياطيبة الاصول والاغصان! باهرة العروق والافنان! ياناضرة الازهار وحلوة الثمار! يا أقدم الامم حضارة ومدنية، واسبقها في وضع قواعد تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية، واهتدائها الى قوانين المعيشة الاشتراكية، وارعاها لاصول الشورى في الشئون العمومية، يامهذبة الاخلاق والعادات، ومقومة العقول والاعتقادات!

قومي ايدك الله ورعاك فأرجعي الانفس عن غيها والعقول عن زيفها، والافهام عن ضلالها والقلوب عن قساوتها، وردي الاخلاق الى نصابها والحقوق الى نقطتها والعقائد الى مركزها، وانقذي ابناء آدم من الحالة السيئة التي وصلوا اليها، وخذيهم الى المستوى الذي يليق بهم، اصعدي بهم الى المرتقى الذي يحسن لهم، واسلكي بهم سبيل النجاة التي توصلهم الى الفلاح في الدارين، والسعادة التامة في الحياتين، فقد وهبك الله من ذلك مالم يهبه لقوم، فهل يليق بك ويحسن منك هذا النوم في هذا اليوم، وان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات ـ

يا ايها العرب! ياهداة الامم الى الطريق الاقوم! وكاشفي الظلم والظلم! ودافعي الكروب والنقم! ياباذلي المعروف! ومنيثي المهوف! ومجيري الضعيف من القوي المخيف! ياحرري الاقوام من رق الاستعباد! ومشيدي صروح العلوم والمعارف في كل قطر وواد! وناشري ألوية العدل والامان والسكينة في جميع البلاد! ورافعي مرتبة الحق والصدق والامانة في كل محفل وناد، ومؤسسي معاهد التمدن والحضارة في القرى والبوادي ـ

قوموا لما خلقتم له أعانكم الله فان شعوب العالم الاسلامي في مشرق

الارض ومغربها وشمالها وجنوبها قد توجهت الى جهتكم وجوهها، وامتدت اليكم اعناقها، وشخصت نحوكم ابصارها، وصغت لكم قلوبها، وانصتت لما يحدث عنكم اسماعها، وتعلقت بكم آمالها، ونيطت بقضيتكم آجالها، وهي تستصرخكم لحماية الدين فاجيبوها، وتستغيث بكم من جور الظالمين فأغيثوها، وتستنجد بهمكم على صيانة حقوقها فانجدوها، وتستثير عزائمكم لدفع الاذى عنها فأثيروها، وتستجير بكم في هذا اليوم العصيب فاجيروها، وتدعوكم لهذا الخطب الرهيب قلوبها، ورجوكم وتؤمل فيكم فلا تؤثموها، وكونوا عند رجائها واملها، وبادروا ذوي الآمال بآمالهم، ياخير قوم! وانهضوا من مضاجعكم فقد طال النوم، وان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات =

يا أيتها الامة العربية! يا زينة الامم والشعوب! ومهبط المسالك والدروب، وفاتحة البلدان، وملبسة التيجان، ياخواضة البحار! وجوابة الاقطار ومجرية الانهار، ومعدنة الاقوام والامصار، ومؤمنة السبل والديار، ومصلحة العقول والافكار، ياحامية العرض والجار، ومبعدة الذل والصغار، ومزيلة الوصم والعار —

قومي يا آخر أمة اختارها الله لاصلاح العالم الانساني على سائر الامم، وندبها سبحانه وتعالى لاخراج البشر من هاتيك التعاسة التي عشعشت وفرخت، والظلمات التي امتدت واكفهرت، والفتن التي عمت وطمت، والمفاسد التي تراكمت وتراكمت، فقمت بما فوض اليك خير قيام من إصلاح الرعايا والرعاة، وارضاء الخالق والمخلوقات، وكما قمت

من قبل فقوموا اليوم، واتركوا هذا النوم، فان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات ـــ

ايها العرب لقد اكرمكم الله بلغة هي اقدم واوسع واغنى لغات العالم، وشرفكم بشريعة هي اكمل واتم واحدى الشرائع التي انزلت للامم، واوجدكم في اقليم جعله من جسم الكرة الارضية في محل القلب من ابن آدم، واودع فيه بيته العتيق، وندب اليه الناس من كل فج عميق، واوجد منكم وفيكم رسوله المصلح الاعظم، ونبيه الخاتم الاكرم، وزينكم بمحاسن لايحصيها القلم والبنان، وخصكم بخصائص تجل عن ان يحيط بكنهها بيان

فقوموا ياخير امة اخرجت للناس واشحذوا انصل قرائحكم، واقدحوا ازند افكاركم، واجيلوا اجياد عقولكم في وضع الخطط القويمة وتنظيم التدابير الحكيمة، وترتيب الاعمال العظيمة، للاخذ بناصر الشعوب الاسلامية المظلومة، وتطهير الارض من مظالم ومفاسد وشرور بقية الامم الظلومة، فان المعول عليكم بعد الله اليوم، فجافوا جنوبكم عن مضاجع النوم، فان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات ـــ

قوموا ياصركز دائرة الامم الاسلامية فتساندوا وتعاضدوا، وتحالفوا وتعاهدوا، وتفاوضوا وتشاوروا، وتظافروا وتناصروا، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وتهيئوا للعمل الاكبر، اجمعوا كلمتكم وملوا شتيتكم، ورتبوا جموعكم وعبوا جيوشكم ورصوا صفوفكم، وانشروا رايانكم وهيئوا معداتكم، وحصنوا ثغوركم، واحكموا امركم، وخذوا حذركم واسلحتكم، وكونوا في المحافظة على الجامعة الاسلامية أحيط من ذرة، وفي مدافعة هذه المصائب النازلة على الامة أضبط من عائشة بن غنم وقت اخذه بذنب البكرة،

واتركوا ايها المصطفون الاخيار هذا النوم، فان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات

ايها العرب الاجواد، قوموا على بركة الله فتناسوا الضغائن والاحقاد، وتباعدوا عن المشاحنات والمنازعات، وتجاهلوا المسآت القديمات، وجددوا الروابط والصلات، وانفروا خفافاً وثقالاً، شباناً وشيوخاً وكهولاً، اناثاً وذكوراً، بدواً وحضراً، لتميم مابدأتم به وتشييد ما وضعتم اساسه، قوموا اقال الله عثرتكم، وايقظكم من نومتكم، فاجعلوا العزم امامكم، والحزم امامكم، والصبر جنتكم والثبات عدتكم وحماية الدين والامة اعلى مرامكم، وصيانة حقوق البشر نهاية مساعيكم، واصلاح العالم الغرض المقصود من قيامكم، واعلاء كلمة الله اول وآخر أعمالكم، فانتم لاغيركم ياأشرف قوم، الوسيلة العظمى في هذا اليوم، فالسلام على الدنيا ومافيها ان لم تتركوا النوم، فان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات

عبد الحق الاعظمي البغدادي

(١) المنار: قد طبعت هذه الرسالة على نفقة الشاب النجيب عبد الرحمن الذكير، التلميذ بمدرسة العلوم في عليكره نجل صديقنا البارّ الحاج مقبل الذكير التاجر الشهير في البحرين. وقد نشرت رسالة خطابية أخرى طبعت في العام الماضي تحت امراء جزيرة العرب وسادتها ورؤساء عشائرها على الاتحاد والاتفاق والاستعداد لحفظ الحرمين الشريفين وسياجهما المحيط بهما، ثم لمساعدة الدولة العثمانية على حفظ بقية بلادها وأملاكها. وانا نبه أهل الغيرة، على الاسلام والدولة، الى كتابة امثال هذه الخطب والرسائل ما أصاب الاسلام والدولة من الفواجع في طرابلس الغرب والبلقان. بعد نكبة المغرب الاقصى وايران، وقد كانت جماهير المسلمين والعثمانيين، وادعين ساكنين، غارّين مغرورين، ظنا منهم ان قوة الدولة الحربية، كافية لحفظ الحرمين مع سائر ولاياتها الاسيوية والافريقية والأوربية، وكان أهل الرأي والاطلاع على

الحقائق قلما تجرأ احد منهم على بيان الخطر المحيط بالدولة كغيرها من ممالك الشرق، ومن تجرأ على ذلك رد قوله وأتهم ، ولا سيما من كان من العرب ، كما بينا ذلك مرارا، كأنه كان يجب على العرب ان يرضوا دائما بالجهل والفقر والبداوة ، لئلا يقال انهم يطلبون العلم والثروة والحضارة ، لأجل الملك أو الخلافة ، وهما ارث آل عثمان ، الدائم الى آخر الزمان ، ونهاية الدوران ، وكذلك كان يقول المقدون بالسطية لعبد الحميد خان ، ومنهم من لا يزال يكرر هذه السعاية في الآستانة الى الآن ،

ولكن الليل عسعس ، والصبح تنفس ، والحق حصحص ، والامر تمحص ، وعرف الذكي واليقيد ، والغوي والرشيد ، ان كلا من الترك والعرب ، على خطر قد اقترب ، وانه لا نجاة للفريقين ، الا بازالة التنازع من البين ، واجتهاد كل منهما بتقوية نفسه ، ليمكنه ان يحمي حقيقته وحقيقة الآخر ، بأن يكون كل منهما عادلا لنفسه ولأخيه ، ولذلك قام اذكياء الترك أولا يحثون على نهضة تركية ، وتلاهم بعض اذكياء العرب في الدعوة الى نهضة عربية ، وقد اتفق الفريقان اخيرا على القول بأنه لا تعارض بين النهضتين ، وأنه يجب ان يكونا متعاونين ، ولعنة الله على من ينكث ما فتلا من العهد ، وما سعيا اليه من احكام رابطة الود ، وعلى كل خادع منافق

أما نهضة الاسلام من حيث هو دين ، فلا ترجى الا من العرب ومقتفي العربية من سائر المسلمين ، وقد صرحت الاحاديث النبوية ، بأن الاسلام سيأرز الى الحجاز ويستعصم بالبلاد العربية ، كما بينا ذلك من قبل ، وشاهدنا عليه صاحب الرسالة اليوم ، روى مسلم عن ابي هريرة والنسائي عن ابن مسعود وابن ماجه عنهما وعن انس أن النبي (ص) قال « بدأ (١) الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » ورواه مسلم عن ابن عمر بلفظ « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ ، ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » ورواه الترمذي عن عمرو بن عوف المزني بلفظ « ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل . ان الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي » ـ والطبراني وابو نصر في الابانة عن عبد الرحمن ابن سنة بلفظ « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء ـ قيل يا رسول

(١) فعل لازم مهموز من البدء كما ضبطه النووي وقال انه الرواية ، وهو بمعنى ابتدأ ، وقد استشكل بعضهم ضبط النووي وجعل الفعل مقصورا بمعنى ظهر لأن المهموز متعد ، وقيل هو بمعنى طرأ على التضمين

الله وما الغرباء ؟ قال ـ الذين يصلحون عند فساد الناس » . وفي رواية بدون ذكر السؤال وزيادة « والذي نفسي بيده لينحازن الايمان الى المدينة كما تحوز السيل ، والذي نفسي بيده ليأرزن الاسلام ما بين المسجدين كما تأرز الحية الى جحرها » ـ واحد عن سعد بن ابي وقاص بلفظ قريب من هذا اللفظ . والاروية في حديث الترمذي بضم الهمزة وكسر الواو وتشديد الياء انثى الوعول اي تيوس الجبل ، وهي تعتصم في اعلى الجبال ولذلك يقال للوعل الاعصم ، وارز (كعلم وضرب ونصر) تجمع وثبت . والمعنى ان الدين سيعتقل ويعتصم في الحجاز ويجمع فيه عند ما يكون غريبا ، فيعود الى الحجاز كما بدأ منه ، ويكون عزيزا قويا فيه كالأروية في شناخيب الجبال ، ثم يمتد وينتشر منه ثانية فيتم صدق الرسول (ص) في كونه عاد كما بدأ . وبهذا يجمع بين الحديث وبين وعد الله باظهار الاسلام على الدين كله ، ونحوه من الوعود

ان دعاة النصرانية يطاردون الاسلام في كل مكان ، ووراءهم امم تمدهم بالملايين من الدنانير ، ودولهم تحميهم وتنصرهم بنفوذها الذي لا يعارض ، وقد اردنا ان ننشيء مدرسة لتخريج الدعاة الى الاسلام في عاصمة السلطنة العثمانية فلم نتجرأ حكومتها على الاذن لنا بالتصريح بذلك ، ثم لم ترض بانشاء المدرسة ولو باسم آخر ، على ان لدعاة النصرانية عدة مدارس في تلك العاصمة ، منها مدرسة عظيمة للبنات . فقد ظهرت مقدمات أوروز هذا الدين الى الحجاز واعتصامه فيه ليعود منه كما بدأ ، ومن البديهي ان ذلك انما يكون باحياء هدي الكتاب والسنة كما هو صريح في الحديث ، ولا يكون ذلك الاحياء اللغة العربية ونهضة الامة العربية في الحجاز وسائر جزيرة العرب . نعم ان البدع في الحجاز الآن كثيرة كغيره من بلاد المسلمين ، وليس فيه حرية لمن يريد مقاومتها ولكن هذا سيزول ، وتتم بشارة الرسول (ص) وسينهض المسلمون في كل قطر لمساعدة عرب الحجاز وسائر الجزيرة على احياء الاسلام في عهده الاول ، وقد ظهرت بوادر ذلك بتأسيس (جمعية خدام الكعبة) في الهند ، ويرجى ان يعم ذلك جميع البلاد الاسلامية اذا نفح قانون الجمعية على الوجه الذي اشرنا اليه . والشرط الاساسي للنجاح ان لا يكون لهذه الجمعية صبغة سياسية لا ظاهرة ولا باطنة ، ومنه ان لا يكون لها علاقة بحكومة الحجاز ولا بالدولة التي تحمي الحجاز

وما ظهرت بوادر ميل المسلمين الى مساعدة العرب والعربية على إحياء الاسلام في عهده الابعد ان ظهرت بوادر نهضة الامة العربية وتوجهها الى الاصلاح الديني والاجتماعي والمدني ، وهي جديرة بذلك بدليل اتفاقها في سورية والعراق والجزيرة على بناء هذا

الاصلاح على اساس اللامركزية الادارية ، اذ بذلك تحفظ حقوق الدولة العثمانية ويتمكن الارتباط بها ، وبه يعطى كل قطر حقه بحسب استعداده ومذاهب اهله ، فلا يكلف امام الزيدية في اليمن وامراء عسير ونجد والحجاز ان يجعلوا ادارة بلادهم كادارة ولاية بيروت مثلا ، فضلا عن ادارة الاستانة وادرنة . وكانت العرب ترى أن لها خصما واحدا في هذا العصر وهو جمعية الاتحاد والترقي التي رأوا منها ما رأوا من مقاومة لفتهم وسفك دمائهم في اليمن وعسير والكرك وحوران ، والضغط على طلاب الاصلاح ببيروت . ولكن الجمعية اظهرت اخيرا الرجوع عن تلك السياسة والجنوح الى الاتفاق مع العرب فعسى أن تكون صادقة مخلصة في هذه المرة وينفذ ذلك قريبا

برح الخفاء وظهر ان الامة العربية تريد ان تحيا حياة مدنية اجتماعية سامية ، ومتى ارادت الامة فعلت ، وقد ظهرت إرادتها في الطبقة المستنيرة منها وألفت لذلك الاحزاب والجمعيات ، وعقدت في أشهر عواصم أوربة المدنية أول مؤتمر عربي للبحث في حقوقها وما تطلبه من دولتها ـ وكذلك ظهرت بوادر الاصلاح في كل الامم ـ فان عارضهم افراد ممن يسمون لوجاهة والسروات ، وتبع هؤلاء الافراد بعض أوشاب من الأوباش ، فليس هذا ببدع في سنن الاجتماع ، بل هو مطرد في كل الامم ، وستقضي سنة الانتخاب الطبيعي على هؤلاء المعارضين كما قضت على أمثالهم في الامم الاخرى

الأمة العربية تريد ان تحيا وقد بدأت تعمل عمل الأحياء ، وان لها دينا على جميع المسلمين ، لانها كانت استاذهم الأول في الدين ، ودينا على جميع امم المدنية ، لانها كانت الاستاذ لهم في جميع العلوم والفنون العقلية والكونية ، فالواجب على الفريقين ان يساعدوها ، ويجب على الدولة العثمانية من ذلك ما لا يجب على غيرها ، وهو ان تعترف باستقلال جميع امراء الجزيرة في اليمن وعسير ونجد ، وتسمح لسائر الولايات بالادارة اللامركزية المطلوبة ، فان لم تفعل تكن فتنة في الارض وفساد كبير ، ولله الامر من قبل ومن بعد ينصر من يشاء وهو القوي العزيز

﴿ نزوح العرب عن اسبانيا ﴾

ظهرت في احدى صحف نيويورك السائحة مقالة نفيسة لكاتب اميركي قدير ساعد بها على جلاء الريب العالق بالاذهان حول حقيقة خروج العرب من بلاد الاندلس التي تدعى اليوم اسبانيا فاثرنا ايراد ملخصها وهو هذا

منذ ثلاث مائة واربع سنوات نفت اسبانيا العرب من داخل حدودها بناء على

امر ملكي اصدره فيليب الثالث فكان لها بذلك الفي انتحار وطني

اعطت اسبانيا قبائل ماريسكوز مهلة ثلاثة ايام فقط ليتزحوا في خلالها عن البلاد مع ان عددهم كان مناهزاً مليوناً ونصف المليون، والمتبادر الى الذهن ان قوماً هذا عديدهم يستحيل عليهم العمل بما ينطبق على الامر الصادر بحقهم ولا يستطيعون الجلاء عن البلاد بكل تلك السرعة، وحينئذ انشأت الحكومة تطاردهم وتطاردهم بقسوة بربرية تفوق الوصف ، فعاملتهم معاملة الحيوانات والضواري اذ ذبحت منهم الوفاً وقتلت الباقين على بواخر (؟) الى سواحل افريقيا . وقد اجمع ثقاة المؤرخين على ان كثيرين من المطرودين كانوا يمرضون على السيف وهم على متون السفن وتطرح جثثهم في البحر حتى لقد قيل ان الاسبان فتكوا بمائة الف عربي من مجموع ١٤٠ الفاً كانوا منقولين دفعة واحدة الى القارة السوداء ، وما صاغوا الموت الا بعد مقاساة صنوف التعذيب والاهانات وتمثيل فظائع بهم تقشعر منها الابدان

ابتدأ عهد انحطاط اسبانيا وخرابها منذ ثوراتها الجنوني على العرب وقهرهم من اراضيها . فان قبائل الماريسكوز كانت تؤلف افضل طبقات الشعب الاسباني فانها صاحبة الافكار والمعارف والصناعة. ولما دفعتها امواج الحوادث الى اراضي افريقيا ـ وبعضها الى بطون الحيتان وجوف الارض ـ ابقت فراغاً في اسبانيا لم يقم بعدها من يملأه . فان العلوم والفنون والصنائع انحطت بعدها او تقلص ظلها بالكلية من البلاد الاسبانية، وامست مقاطعات واسعة من اراضيها ليس لها من يحرثها فكانت قفاراً جرداء ليس فيها ساكن

ان الزراعة العجيبة التي صيرت سهول الاندلس مثال الفردوس قد انمحت آثارها ولم يبق لها رسم ، وهكذا انقضى عهد المصانع الحربية واساليب الري المنظمة التي كانت تحيا بها البلاد . وبالتالي فان البقاع التي كانت كجنة عدن بروائها باتت عبارة عن صحاري قاحلة

ان منبة نفي العرب من الاندلس جاءت آفات على أبنائها . فان العلم الذي يتغلب على الطبيعة ويذلل قواها لتخضع لارادة الانسان ، والذكاء الذي يصقل الاخلاق ويلطف العواطف ويعين على ايجاد الاخاء والتقدم، كانا في اسبانيا مجسمين بالعرب. ومنذ نفي العرب نفيت منهم تلك المزايا الراقية التي هي عناصر المدنية القديرة، وحل محلها بين الاسبانيين خرافات وأوهام هي شر اعداء الانسانية ومعاثر الارتقاء

عظيمة كانت زلة اسبانيا بنفيها العرب من بلادها وعظيما كان القصاص الذي وقع على الاسبانيين بسبب زلتهم (مرآة الغرب)